وعرف النعمة واستكبر عن شكرها ويدخل في هذا العام من سيق له الكلام دخولا اوليا وهم المشركون الذين
يستكبرون عن التوحيد فقط وتكون النكتة في العدول عن الضمير الاشارة الى علة الحكم عليهم بانه تعالى
لا يحبهم ثم انه تعالى لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد وبطلان مذاهب عبدة الاوثان حكى عن
حكى مطاعن منكري النبوة وبين ان عاقبتهم طعنهم كانت ان يحملوا الاوزار فانه عليه السلام لما احتج على
صدقه في دعوى النبوة بانزال القران المعجز عليه طعنوا في القران وقالوا انه اساطير الاولين
وليس من قبيل المعجزات فقال تعالى انما قالوا ذلك ليحملوا اوزارهم كاملة واللام فيه لام العاقبة
لانهم لم يصفوا القران بانه اساطير الاولين لاجل ان يحملوا الاوزار اشار اليه المص بقوله فحملوا اوزار
ضلالهم ولكن كانت عاقبة ذلك التوصيف ان يحملوها شابه بالعلة المذكورة بالغرض المطلوب من الفعل
فحسن ادخال لام العاقبة عليه كما في قوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قوله
ماذا في محل الرفع على الابتداء وقوله انزل ربكم خبره اي اي شيء انزله ربكم غاية ما في الباب
ان يكون التركيب من قبيل زيد ضرب في حذف العائد المنصوب والمسئلة مختلف فيها
بين النحاة والصحيح جوازه والقائم مقام الفاعل لقوله قيل هي الجملة من قوله ماذا انزل ربكم لانها
هي المقولة والبصريون يابون ذلك ويجعلون القائم مقامه ضمير المصدر لان الجملة لا تكون فاعلة
ولا قائمة مقام الفاعل واختلفوا في قائل هذا القول وفاعله المحذوف فيه اتفقوا على ان المقول لهم
المشركون الطاعنون في القران وكونه منزلا من الله تعالى وقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول
المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلعم
اذا سالهم وفود الحاج عما انزل الله تعالى على رسوله كذا في التفسير الكبير وفيه تسامح اذ المراد
انه قول الوافدين على المشركين كما اختاره المص الا انه على تقدير ان يكون هذا قول بعض
المشركين لبعض يكون قوله ماذا انزل ربكم سخرية على الهتكم لانهم منكرون للانزال والنبوة
وقوله اساطير الاولين خبر مبتدا محذوف اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين
وارتفاع اساطير الاولين دليل على انهم ان ماذا مرفوع على الابتداء لانه لو كان منصوبا
على انه مفعول انزل على معنى اي شيء انزل ربكم لكان المناسب ان يكون اساطير ايضا منصوبا
على انه مفعول فعل محذوف ليطابق السؤال الجواب فان جواب المرفوع ينبغي ان يكون مرفوعا
وجواب المنصوب منصوبا ولم يقرا اساطير الاولين بالنصب قوله وبعض اوزار ضلال من يضلهم
وهو حصة التسبب يعني ان كلمة من في قوله تعالى ومن اوزار الذين تبعيضية فكما ان الرؤساء هي
كمال الضلالة اوجبت جمعها بين الضلال عن الحق بانفسهم وبين الضلالة التي يتعدى اثرها الى الغير
ضلالة الاضلال فلما كانت ضلالتهم كاملة فلا جرم حملوا اوزار ضلالتهم كاملة فكذلك الاتباع فان لهم ضلالة

ضلالة مسببة من اضلال الرؤساء اياهم ولهم ضلالة غيرها فالرؤساء يحملون من اوزار الاتباع
وهذا لا يخالف ما روى عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى فاتبع كان له
من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة فاتبع كان
عليه من الاثم مثل اثام من تبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيئا لان المراد بعض اوزار من ضل
هو وزر ضلاله الذي تسبب فيه المضل وكذلك الاثام المذكورة في الحديث غاية ما في الباب
ان تقدير المثل وسائر تقدير الاية وبين بعض اوزار ضلال الاتباع قال الامام واعلم انه
ليس المراد انه تعالى يوصل العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الرؤساء وذلك لان هذا لا
يليق بعدل الله وان ليس للانسان الا ما سعى وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى بل
المعنى ان الرئيس اذا وضع سنة قبيحة استحق بذلك عقابا عظيما حتى يكون ذلك العقاب مساويا
لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع ثم نقل عن الواحدي انه قال وليست من في قوله
ومن اوزار الذين يضلونهم للتبعيض نحو من الاتباع بعض اوزارهم وذلك غير جائز
لقوله ومن غير ان ينقص من اوزارهم شيء ولكنها للجنس اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع
انتهى كلامه ولا يخفى ان من التي تكون بيانا للجنس لا تكون بتقدير هكذا بل الظاهر ان بيان
تقديرها الاوزار التي هي اوزار الذين يضلونهم قوله حال من المفعول ويجوز ان يكون
حالا من الفاعل فالمعنى يضلونهم جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك
الا ان العادة المسرعة على كونه حالا من المفعول يوضح فانه تعالى لما وصف الذين لا يعلمون
انهم ضلال بالضلال ويكونون حاملين للاوزار حيث اضاف اليهم الاوزار وقال في حقهم الذين يضلونهم
والاضلال لا يتحقق بدون الاضلال علم منه ان جهلهم بذلك لا يخرجهم عن كونهم ضلالا حاملا للاوزار
في انفسهم واعلم انه تعالى حكى عن المشركين انهم وصفوا القران بانه اساطير الاولين اي احاديثهم واباطيلهم
ولم يبحث عنهم بيان حقيته وكونه كلاما الهيا معجزا لما اقتصر على مجرد الوعيد على ما تكرر بيان ذلك
في مواضع متعددة من القران ثم انه لما تاسف من قول المشركين في حق القران انه اساطير الاولين
وجعلهم هذا القول وسيلة الى تكذيب دعوى الرسالة بين قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم
الاية والمراد بالمكر هنا التدبير الفاسد اي قد مكر الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء المشركين بانبياء الله
كما مكرت هؤلاء بك ولم يضر ذلك بالانبياء بل ابطل الله تعالى مكرهم ورده في نحورهم ونحن نبين معنى
ما قيل من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا والمصوبات جمع مصوبة وهي الحبالة
مصوبة هي في الاصل صفة للشبكة او الحبال فجرت مجرى الاسماء كالدابة والبحيرة وفسر ارجاع القواعد
بالاساطين التي تعمد البنيان اي تقيمه يقال عمدت الشيء فانعمد اي اقمته بعماد يعتمد عليه والنعم يتضمن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)